طيف الربيع

مع الشاعر

« للربيع نشوةٌ تمدّ الروح بشذا الخلدِ البهىّ »

* * *

خلا المكان الاّ من أنفاسك ترفُّ علىّ ،وخلا المكان إلاّ من طيفك يبدو من وراء ناظرى ، ووراء ناظري قلبي الأمين يخضع لناموسك .

خلا المكان ولكنى أشعر أن العالم يحوطنى وأن المكان ملئٌ باخيلة تهف أمامى محسوسة ولا وجود لها إلا فى قلبي الوسيع .

وللخلو غفوةٌ شبيهة بغفوة النائم امتطيتُ معها جوادَ الربيع وهو يجتاز بى محيط العالم الروحانى مأخوذةً بسكرة الربيع ويا لها من سكرة ! رشفت خمرها بكأس فم الروح الرفيف وهو يحملنى على الصعود إلى ملكوت الخلود حيث يسكن الروح الأليف .

وعلى بساط الربيع انبسط جسمى وقد استشعر قلبي بما وراءَ الربيع .

سهوتُ عن نفسى . . . ونسيت كيانى فى عالمى المحدود .

خلف شعاعٍ من الضوء سرتُ حيث لا أدرى والنسيم يحملنى برقة إلى حيث أبغى . ويا لها من رحلة شاهدت فيها من جمال الكواكب الربيعية ما بهرنى بهاؤه.

سمعت صوتا يحاكى نغمة العود رقة تتماوج نبراتهُ بين حنين والتياع ، وبدأ الضوء خلف الشجر الكثيف يداعبنى فى حذر ويستهوينى للدنو منه . واليه ذهبت وتجاهه جلستُ ، استنطق الضوء سرّه وقد ظهرت ملامح الشبح الرزين...

سمعتُ قلبه يشدو شعراً ويوقع نغماً ... اقتربت منه وأنا أترنح طرباً ، ولكنه ابتسم ابتسامة موشاة بالأنين وقال : أولم تسمعي صراخ قلبي — قلبي يضايقني خفوقه.. وكدتُ من فرط الحس له اسمع قلبي يجاوبه صداه ، قلت: لا تسمّه خفوقاً ، سمّه شعراً ولحناً ، . . انه الشعر يفيض على جوانب قلبك الحساس فيجيء في أذنك كالنبض السريع . . .

وبدت مني التفاتة إلى حيث يعلق نظره فوجدت النجوم بلآلئها تستمدّ من عينيه قوة الاشعاع فقلت : عيناك . . . أرى الربيع مرتسماً بجلاء فيهما ! فتأوّه ملتاعاً وقال : أوتحسبين يا صغيرتي ربيع العمر يخلد؟ . . . ولّى الربيع فعزّني . . . قلت : لا ، ولكنه يذهب ليعود ويعود ليذهب . . . أو يخلد الخريف ؟ . . . ان عجلة الحياة تتطلب من الفصول شحماً وهو لا بدّ لها ونحن شحم الفصول ، فلنكن شحم الربيع . ان الربيع أخلد الفصول يا ملاكي وإن ولّى .

هب أنّ طيراً أصابه رشاش قادر فعجز الطير الكسير عن اجتياز الفضاء الوسيع أفلم يهدأ في وكره ليغني ، وما ضرّ الطير لو هدأ وغنى . . .

فصرخ من الأعماق : قلبيَ . . . قلبي . . . قلبي صريع الحب ، قلبي قتيل الغرام يئن ويشكو فهل من دواء ؟

قلت : وقلبي طليق الحب ، كبير الأماني ، رحيب الصبا ، فاعطني ما تبقى لك من الآلام !

أعطني ظلام قلبك وخذ ضياء قلبي ، قلبي في حاجة إلى الظلام ليكتشف ما وراء أسراره الرهيبة .

خذ رشفة الخلد لتخلد ، وأعطني جرعة الفناء لأفنى ! حاول أن يلمس قلبك الجريح قلبي المُعاني وإن مرض قلبي فالدواء بين يديك يسير . . . . .

حاول أن يلمس قلبُك قلبي ولا تحاول أن ترعاه ، بل دعني أرعى قلبك البئيس ولست أحرص عليه لنفسي فقد صارعت جرثومة الانانية حتى قتلتها ولكني أحرص عليه لك وللشعر والحياة ....

فان وفّقتُ إلى نجاح عمليتي عشتُ بجانب شعرك أستوحيه الطهر والاطمئنان، وإن أخفقتُ كنت الشهيدة الجديرة بالرثاء . . . .

قال : وكيف تُضَحِّين نفسك فى سبيل شَبَحٍ فرَّ عنهُ الربيع ؟

قلت : أوَلستَ صورةً الحياة وأنا أحب الحياة ؟ . . . أو لم يهبك الربيع ازدهاره وعبيره وأنا أحبّ الربيع ؟ . . . أنا أحبك فى الخريف فالربيع عندى ملء قلبى! فتعال أضمك إلى هذا القلب لأشعرك بحيوية الربيع ، ورتِّل يا طائرى أسمى أغانيك على فنن قلبى فهو وكرك الأمين ! رتل ! رتل ! ولا تحاذر من النسيم !

ما لى وللاجسام شأنٌ يا أليفى ، أنا أحبّ روحَك ، وروحُك أحبُّ إلىّ من الحياة . . .

أى جسم أطلبه وأىُّ قلب أنشده . . .

لا شىء ! لا شىء !

ولكن سلنى أى روح أرجوه ؟ . . . روحُ الشاعر ، روحُ الملهم ، روحٌ ترفّ علىَّ فتهبنى نسمات الحياة يجرى عبيرُها فى شرايينى فتحبونى بالحياة فأحيا بالشعر وله .

فردَّد الشاعر والدَّمع يحاول أن يخونه : قلبى . . . قلبى . . . أوَتحسبينه يكفل لى البقاء طويلاً ؟ وكاد يهوى على الارض بغير هوادة . . . ولكنى أسندته شفوقةً على صدرى الصغير الحنون . . . وبكيت له وعلىّ ، وبكيت علىّ وله . . .

قلت : عشت نصف عمرك بقلبك فعش النصف الآخر بروحك ، ودع قلبك يخفق شعراً ولا تجشِّمه عناء الحب الجديد ، . . . ولا أظن أن الطير يأوى الى بقايا الحصون — فلو فعل لقضى على نفسه وعليك . . . عش بروحك العظيم ودعنى أحملك برفق على جناحىْ روحى إلى حيث تريد أن تقيم .

اسكب دموعك فى قلبى ، وانشد ربيعك من قلبى ، وعش بأمانى الربيع كما تحب أن تخلد : نحن أقل غباءً من البشر يا أليفى . فلم لا نحطم قيود البشر الوضيعة ونشيد لهم حياةً من الروح أمجد وأبهى ؟ . . .

الحياةُ أنشودةٌ طويلةٌ أولها الأمل وآخرها القنوط . . وجيلٌ من الامل يعادل ساعة من القنوط فى تفكيره فاجعل أملك فى الله عظيماً وخلِّ عنك . . . خلِّ عنك الماضى بذكرياته فان جرثومة الذكرى المؤلمة فتاكة ، فحاول أن تقتلها وارشف من منهل الامانى والمرح ما يحلو لك . . . وخلِّ عنك . . .

* * *

وهنا تلاشى هيكلى أمام روحى وفتحتُ عينىَّ ليقرأ فيها ماعييت عن ايضاحه... فتحت عينى فلم أر شيئاً ووجدتنى على بساط الربيع فى عالم الخيال ؟

جميلة محمد العدلى

أدب النقد

اكتساب احترام الناس خير من اكتساب اعجابهم

ج . سيمون

لما كتبتُ مقالى السابق عن ممارسة الأدب كان اكبر ظنّى أنه سيؤثر تأثيراً حميداً فى نفس أديبنا العقّاد لأنى فى الوقت الذى لم أجحد فضل الرجل كمترجم وملخص وشاعر وكاتب مع دفاعى المتّزن عنه لم يفتنى تنبيهه الى اكبر عيب له وهو خضوعه لشيطان نفسه بحيث أصبحت هذه النفس المريضة أكبر عدوّ له وصار يطاوعها فى غمط حقوق الناس وفى خلق العداوات حوله بغير موجب لذلك، ثم هو بعد كل هذا يشكو من جفاء الناس بينما هذه الجفوة يستقرّ أصلها فى نفسه .

كنتُ على شىء من التأميل ، وكنت انتظر من العقاد إمّا أن يسلك سبيل الأديب المثقّف فيعلق بقلمه وبنزاهة وأدب على ما يُوجَّه اليه من النقد ، وامّا أن يُسْقط هذا النقد إسقاطاً تاماً ولا يتعرّض له . ولكنه حفظه الله جاء بشتائم لا تليق أن تصدر من مثله فى مكانته الأدبية التى يدّعيها . فقد طلع علينا فى جريدة (الجهاد) بفصل عنوانه « شكر واجب » يذكرنا ببيانات الشكر التى تتبع اعلانات الوفيات ، وكلُّ سطر فيه ينمّ عن اضطراب عصبي عنيف وعن نفس مقهورة ، وقد رصّعه العقاد بأمثال هذه التعابير: « المنكوبين والأدعياء ، أو شاب من السوقة ، الأنذال ، اللئيم ، رقاعة » الخ .